صحيح البخاري (٤)

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شَرِيكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)} [آل عمران].

قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)} [النساء].

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)} [الأحزاب] أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد - ﷺ- وشر الأمور مُحدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

مازال الحديث متواصل في شرح كتاب العلم (صحيح البخاري).

وكنّا قد توقفنا في اللقاء السابق عند بداية الباب الثالث

(مَن رفع صوته بالعلم)

وذكرنا حديث عبد الله بن عمرو ولم نشرح الحديث فأوردنا رواية البخاري فقط للحديث، أما اليوم فإننا سنستكمل الكلام برواية مسلم

وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، ح، وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ هِلَالِ بْنِ يِسَافٍ، عَنْ أَبِي يَحْيَى، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: رَجَعْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِمَاءٍ بِالطَّرِيقِ تَعَجَّلَ قَوْمٌ عِنْدَ الْعَصْرِ، فَتَوَضَّئُوا وَهُمْ عِجَالٌ فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِمْ وَأَعْقَابُهُمْ تَلُوحُ لَمْ يَمَسَّهَا الْمَاءُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ أَسْبِغُوا الْوُضُوءَ» أخرجه مسلم(٢٤١).

أولًا: سيرة الصحابي الجليل الشاب العابد الزاهد المفسر الفقيه عبد الله بن عمرو بن العاص.

هو: عَبْدُ اللهِ بنُ عَمْرِو بنِ العَاصِ بنِ وَائِلِ السَّهْمِيُّ ابْنِ هَاشِمِ بنِ سُعَيْدِ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمِ بنِ عَمْرِو بنِ هُصَيْصِ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيِّ بنِ غَالِبٍ.

فهو الإمام الحبر العالم الفقيه المعروف بطول العبادة وهو ابن الصحابي الجليل عمرو بن العاص.

يَبْلُغُ مَا أَسْنَدَ: سَبْعُ مائَةِ حَدِيْثٍ، اتَّفَقَا لَهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحَادِيْثَ، وَانْفَرَدَ البُخَارِيُّ بِثَمَانِيَةٍ، وَمُسْلِمٌ بِعِشْرِيْنَ.

إذن ثمانية وعشرين رواية فقط هي التي أوردها البخاري ومسلم

اجتهاده في العبادة.

لقد كان رضي الله عنه مجتهدًا اجتهادًا شديدًا في العبادة،

وروى عن نفسه فقال:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: أَنْكَحَنِي أَبِي امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ، فَكَانَ يَتَعَاهَدُ كَنَّتَهُ، فَيَسْأَلُهَا عَنْ بَعْلِهَا، فَتَقُولُ: نِعْمَ الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشًا، وَلَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفًا مُنْذُ أَتَيْنَاهُ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «الْقَنِي بِهِ»، فَلَقِيتُهُ بَعْدُ، فَقَالَ: «كَيْفَ تَصُومُ؟» قَالَ: كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: «وَكَيْفَ تَخْتِمُ؟»، قَالَ: كُلَّ لَيْلَةٍ، قَالَ: «صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلاَثَةً، وَاقْرَإِ القُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ»، قَالَ: قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «صُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ فِي الجُمُعَةِ»، قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «أَفْطِرْ يَوْمَيْنِ وَصُمْ يَوْمًا» قَالَ: قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «صُمْ أَفْضَلَ الصَّوْمِ صَوْمَ دَاوُدَ صِيَامَ يَوْمٍ وَإِفْطَارَ يَوْمٍ، وَاقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّةً» فَلَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَاكَ أَنِّي كَبِرْتُ وَضَعُفْتُ، فَكَانَ يَقْرَأُ عَلَى بَعْضِ أَهْلِهِ السُّبْعَ مِنَ القُرْآنِ بِالنَّهَارِ، وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ يَعْرِضُهُ مِنَ النَّهَارِ، لِيَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَقَوَّى أَفْطَرَ أَيَّامًا وَأَحْصَى، وَصَامَ مِثْلَهُنَّ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَتْرُكَ شَيْئًا، فَارَقَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ "، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: " وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فِي ثَلاَثٍ وَفِي خَمْسٍ وَأَكْثَرُهُمْ عَلَى سَبْعٍ " أخرجه البخاري(٥٠٥٢).

- **يتعاهد**: يتفقد، **كنته**: امرأة ابنه، **بعلها**: زوجها،
- **لم يطأ لنا فراشا**: أي لم يضطجع معها في فراش،

- **ولم يفتش لنا كنفا:** الكنف الستر والجانب وأرادت بهذا الكلام والذي قبله الكناية عن عدم جماعه لها.
- **مرة:** أي اختم القرآن مرة واحدة في كل سبع ليال، **السبع:** سبع القرآن، **يعرضه:** يقرؤه ليتمكن من حفظه عليه وقراءته في الليل بسهولة، **أحصى:** عد الأيام التي أفطرها.

شيئا: من الطاعة، **فارق النبي ﷺ عليه:** كان يعمله قبل وفاته ﷺ وبقي مستمرا على فعله حتى توفي ﷺ وهو يعمله.

وقفة مع هؤلاء القوم لنرى كيف كانت أحوالهم مع الله.

توجيه النبي ﷺ: لعبد الله بن عمرو :أن يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، وأن يختم القرآن مرة كل شهر، فكان رد عبد الله بن عمرو :أنه يطيق أكثر من ذلك.

فجاء توجيه آخر: أن يصوم ثلاثة أيام في الجمعة، فقال أطيق أكثر من ذلك، فقال النبي ﷺ : أفطر يومين وصم يومًا، فتتابعت توجيهات النبي له وهو يُردد أطيق أكثر من ذلك.

ثم قال عبد الله: فَلَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَاكَ أَنِّي كَبِرْتُ وَضَعُفْتُ.

فقد كبر في السن ولم تعُد طاقة الشباب موجودة كما كانت، فالشباب يتمتعون بالطاقة، فندم على عدم قبوله لسنة النبي ﷺ حتى يستطيع الاستمرار في العمل الذي ألزم نفسه به، ولكنه لم يترك ما أمره به النبي ﷺ.

لأن أحب الأعمال إلى الله أدومه وإن قل، وليس كثرته ثم عدم القُدرة على المداومة عليه وبالتالي تركه بالكلية.

عندما تُفرَّغ القلوب من الدنيا تسهُل على الأبدان الطاعات وعندما تُملأ بها تعجز عن الطاعة الأبدان.

فقد كان رضي الله عنه كل يوم يصوم النهار ويختم القرآن في الليل، فيأتي النبي ﷺ ليُخفف عنه وهو لا يرضى بهذا التخفيف وظل يقول أطيق أكثر من ذلك إلى أفضل الصيام وهو صيام داود عليه السلام،
_يتعجب الإنسان إذا ما نظر في أحوال هؤلاء وقلوبهم وسِيرهم ويتولد لديه حالة من العجز والإحباط، فأي حبٍ هذا وأي تملُق وأي إقبال على الله وأي ود هذا، والتجرد وترك الدنيا بالكلية من القلب، لأن القلب لو شُغِل بالدنيا لما استطاع أن يختم القرآن في ليلة.

لماذا نحن اليوم عاجزون عن التلاوة والختم وتحقيق العلم الذي نأخذه والأعمال ضعيفة والإقبال على الرب ضعيف ؟ الدنيا ملأت القلوب.

فكيف استطاع هؤلاء أن يُخرجوا الدنيا بالكلية من القلوب هكذا؟

لقد أخرجوها لدرجة أنها لم يبقى منها أي شيء ولو أقل القليل ؟ حتى الزوجة لقد أخرجها من قلبه وهو مازال حديث عهدٍ بزواج.

لقد دخل الأب بيت ابنه ليتفقد أحوال ابنه مع أهل بيته وهذا هو حال الأب العاقل (الإنصاف_العدل) فسألها فقالت: نعم الرجل ولكنه لم يطأ لنا فراش(أي أنه لم يقم بحق الزوجة الشرعي).

المقصود: هو لفت الانتباه إلى أن عبد الله بن عمرو شاب وفيه ما في الشباب من شهوة ومعه زوجة حسناء وهي حلال له، فيتركها ويظل طوال الليل يقيم الليل مع القرآن ويُصبح صائمًا في النهار، ولولا أن النبي ﷺ وجهه إلى التخفيف ومنعه من الاستمرار على هذا الحال لظل حاله هكذا، هؤلاء لم يصلوا إلى هذا الحال إلا بحب الله ورسوله(صدق المحبة) التي فقدها الكثير.

ولذلك قال المُزني: عندما تحدث عن أبي بكر: ما سبقكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في قلبه (حب الله ورسوله).

سأل أحد التابعين: نحن أكثر عبادة من الصحابة الذين سبقونا ولكن لا نستطيع أن نصل إلى ما وصلوا إليه فلماذا ؟ فقال : لقد كانوا أزهد في الدنيا منكم، هذه هي إجابة السؤال وأصل المسألة والركيزة التي تُمهِد طريق الوصول(الزهد في الدنيا).

فلم يكن الصحابة جميعهم في العبادة بنفس درجة عبد الله بن عمرو ولكنهم سبقوا أناس سبقوهم في كثرة العبادة لأن القلب لم يكن مُنشغل إلا بالله.

أوردنا رواية البخاري أما رواية مسلم فهي:

* قَالَ: «فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ، وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا» قَالَ: فَشَدَّدْتُ، فَشُدِّدَ عَلَيَّ. قَالَ: وَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكَ لَا تَدْرِي لَعَلَّكَ يَطُولُ بِكَ عُمْرٌ» قَالَ: «فَصِرْتُ إِلَى الَّذِي قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا كَبِرْتُ

وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ قَبِلْتُ رُخْصَةَ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» أخرجه مسلم(١١٥٩).

وفي رواية أيضًا لمسلم " ولولدك عليك حق" وفي رواية أخرى "ولنفسك عليك حق".

ولو جمعنا الروايات الواردة في البخاري ومسلم فإننا سنجد أن النبي ﷺ قال(لنفسك عليك حق، ولزوجك عليك حق، ولزورك عليك حق، ولولدك عليك حق) فأعطي كل ذي حق حقه.

ومن مجموع الروايات نخلُص إلى نصيحة نبوية غالية ألا وهي: على المسلم أن لا يقع في الإفراط أو التفريط، فلا إفراط في الطاعة فيؤدي ذلك إلى التقصير في حق(الزوج_الزوجة_الوالدين_الأبناء_النفس)، ولا تفريط فيتكاسل عن الطاعات ومن ثمَّ يسقط في حضيض الشهوات وإغواءات الدنيا، ولكن كيف للإنسان أن يُحقق التوازن بين حق الله وبين الحقوق الأخرى؟ فلو أن الإنسان استحضر النية واحتسب عند الله أن الوقت الذي يقوم فيه بأداء حقوق مّن له حق عليه(عبادة).

مثال:

وإن لبدنك عليك حق: فإذا أراد أن يُريح البدن فلا يُريحه لمُجرَّد إراحته ولكن عليه أن يحتسب الأجر عند الله فإن هذا الوقت الذي أراح فيه البدن سيُعينه على القيام بين يدي الله عز وجل في الليل

ولزورك عليك حق: فيكون ممتثل لأمر رسول الله ﷺ ومُتبعٍ له في العبادة، فإذا ما دخل عليه ضيف فلا يكون مُتأففًا منه لأنه جعله يترك العبادة، الضيف له حق فقد أوصى النبي ﷺ بإكرام الضيف، فلابد من أداء حقه دون الوقوع في أي مخالفة شرعية أو خطأ يُغضِب الله سبحانه، فالوقت الذي يستقبل فيه الضيف ويُؤدى له حقه يحتسب أنه مُتبع للنبي ﷺ في قوله ﷺ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»

أخرجه البخاري(٦١٣٨،٦١٣٦،٦١٣٥،٦٠١٩،٦٠١٨)، وأخرجه مسلم(٤٨،٤٧).

إذن إكرام الضيف أمر ووصية نبوية أمرنا بها وبيَّن أن الإيمان متعلق بإكرام الضيف، فإكرام الضيف يعني تنفيذ وصية رسول الله ﷺ وهذا إيمان وليس في ذلك إضاعة للوقت.

كذلك الأبناء لهم حق: النُّصح والمُتابعة والرعاية والعناية وتعليم شرع الله وتحفيظ القرآن، ومَن لم يفعل ذلك فقد أضاع حق مَن ولاه الله عليهم.

كل هؤلاء لهم حقوق على الشخص وينبغي إعطاء كل ذي حقٍ حقه ولكن كما قلنا: فعند إعطاء كل واحد حقه لابد أن ينصب تركيز هذا المُعطي على احتساب هذا الحق عند الله بالحسنات، حتى لو كان هذا الحق هو تحضير الأم لطعام أبنائها فتحتسب الأجر عند الله، وأن هذا العمل قد

يكون سبب في أن يكون هؤلاء الأبناء صالحين فقد أخذوا من الأم الحنان والأمان والحب وهي أشياء لابد أن تعطيها الأم لأبنائها حتى ينشأ جيل سوي نفسيًا، فتحتسب الأم الأجر في أنها تعمل على إصلاح نفسية إنسان فلا مشاكل ولا أمراض نفسية فينشأ إنسان مسلم ينفع المسلمين، لابد أن تكون هذه هي النية في العمل وليس محبة الابن.

من هذا البيان يتضح أن الوقت لن يضيع في أداء الحقوق إذا ما احتسب هذا الوقت عند الله، فيكون كل عمل يقوم به الإنسان عبادة وله أجر عند الله باستحضار النوايا.

ولذلك فإننا نورد سؤالًا :هل النبي ﷺ عندما وجه عبد الله بن عمرو هذا التوجيه جعله يُقِل من الحسنات؟

لو حسبناها بالكم كما يفعل الكثير من المسلمين فإننا سنجدها بالفعل قلَّت (فبعد أن كان يختم كل يوم مرة أصبح يختم كل أسبوع يعني أربعة أجزاء فقط في اليوم_ وبعد أن كان يصوم كل يوم أصبح يصوم يوم بعد يوم) بالفعل لو وزن الأمر بالكم والعدد نجد أنه نزل في الأجر والحسنات.

أما لو وزن الأمر بالإتباع فسنجد أن الأجر أكبر.

هذه هي المشكلة عند الكثير من المسلمين، فعوام المسلمين عند عمل الطاعة ينظرون إلى الكم وليس الكيف، فيُكثِر من العدد ولكنه لا يخرج بشيء كما أنه لا يعلم هل قُبِل منها شيء أم لا ؟ فالقلب ساهٍ لاهٍ غافل، فيسرد الذِكر سردًا، ويقوم بعمل أكثر من عمرة في عمرة واحدة(أي في سفرة واحدة) هذا هو ميزان الكمية والعدد؟

في حين أن هذا الأمر لا يُوزن بالكمية ولا بالعدد، فالحسنات تكون بقدر الإتباع وكذلك النجاة فليس المهم هو العدد ولكن المهم هو القبول ، فالكثرة قد يكون فيها مخالفة لهدي النبي ﷺ (فمثلًا عمل أكثر من عمرة في سفرة واحدة، فما شرع لنا الرسول ﷺهذا).

نخرُج من الحديث بحقيقة ينبغي الالتفات والانتباه لها ألا وهي:

ففي الظاهر قلَّت العبادة من ناحية الكم ولكن الحقيقة أنه مُتبع، فتوجيه النبي ﷺ وإرشاده له ثم إتباعه لهذا التوجيه والإرشاد أعظم وأقرب إلى الله مما كان يفعله، حتى أنه ندم في نهاية حياته وقال : ليتني أخذت برخصة رسول الله ﷺ.

فقد كان النبي ﷺ يعلم كيف يستقيم الأمر، فالنفس لها إقبال وإدبار والإيمان يزيد وينقص، فأحيانًا تكون النفس نشيطة ومُقبلة وتريد أن تفعل الكثير، وأحيانًا تشعُر بحالة من الفتور فبالكاد تقوم بأداء ما عليها من فروض، وهذا هو حال العباد.

نعود إلى حديث الباب: قال: تَخَلفَ عَنا النبِي صَلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلمَ فِي سَفرَةٍ سَافرنَاهَا فَأدرَكَنَا : فقد كان الصحابة مسافرين في سفر من الأسفار فلحق بهم النبي ﷺ بعد أن انطلقوا – فَأَدْرَكَنَا – وَقَدْ أَرْهَقَتْنَا الصَّلاَةُ – وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ، فَجَعَلْنَا نَمْسَحُ عَلَى أَرْجُلِنَا: فلحق بهم النبي ﷺ وأدركهم وهم يتوضئون.

فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ».

وَقَدْ أَرْهَقَتْنَا الصَّلاَةُ: أعجلتنا لضيق الوقت.

قال العلماء في ذلك أقوال:

١- قيل :لأنهم أخروا الصلاة ولا يريدون أن يصلوا إلا عندما يلحق بهم فيُصلي بهم صلاة الجماعة فهم يعرفون مدى الفضل الذي ينالونه من وراء ذلك، فظلوا يؤخرون الصلاة إلى أن رؤوا النبي ﷺ وهو قادم من بعيد فقاموا يُسارعون إلى الوضوء ليُصلوا مع النبي ﷺ، فلما توضئوا على وجه السرعة حدث أن ترك البعض منهم جزء من القدم من غير أن يمسه الماء، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ»

- العقب هو: جمع عقب بفتح عين وكسر قاف وبفتح عين وكسرها مع سكون قاف مؤخر القدم.

فرفع النبي ﷺ صوته وقال هذه المقولة ولذلك بوب الإمام هذا الباب وقال (باب من رفع صوته بالعلم).

يستفاد من الحديث حكم :

أن مَن لم يُسبغ الوضوء فقد وقع في كبيرة من الكبائر لماذا؟

استنادًا لقول النبي ﷺ «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ».

- الويل هو: قيل أنه وادي في جهنم، وقيل: أنه نوع من العذاب، وعلى كِلا القولين يكون المعنى المقصود هو إيقاع العذاب.

إذن المطلوب: هو إسباغ الوضوء والمقصود به هو المبالغة في غسل أعضاء الوضوء و إيصال الماء إلى أجزائها ، تعميم الماء على أعضاء الوضوء، وبالتالي فلا يجوز ترك أي جزء من العضو دون أن يُعمم بالماء، وقد توعد النبي ﷺ فاعل ذلك بالويل.

- والويل يعني: العذاب الشديد ولا يكون إلا على الكبائر.

وكما قال أهل العلم: أن الفعل يُصنف كبيرة إذا ورد في النص(حد، لعن، ويل، أو وعيد).

فلما قال النبي ﷺ «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ» أي وعيد شديد فإن هذا يعني أن فاعله قد ارتكب كبيرة.

ومعنى رفع النبي ﷺ لصوته أنه: رأى من صحابته فعلًا يستوجب أن يُنكر عليهم فعله.

يقول الحافظ: وقوله "فَجَعَلْنَا نَمْسَحُ عَلَى أَرْجُلِنَا"

(انتزع منه البخاري أن الإنكار عليهم كان بسبب المسح ، لا بسبب الاقتصار على غسل بعض الرجل، فلهذا قال في الترجمة: " ولا يمسح على القدمين "، وهذا ظاهر الرواية المتفق عليها. وفي رواية مسلم " فانتهينا إليهم وأعقابهم بيض تلوح لم يمسها الماء " ،

_ فتمسك بهذا من يقول بإجزاء المسح، وبحمل الإنكار على ترك التعميم؛ لكن الرواية المتفق عليها أرجح ، فتحمل هذه الرواية عليها بالتأويل، فيحتمل أن يكون معنى قوله: " لم يمسها الماء " ، أي: ماء الغسل ، جمعا بين الروايتين).

معنى هذا كما أورد البخاري أن إنكار النبي ﷺ لصنيع الصحابة لم يكن لمجرد ترك جزء ولكن لأنهم مسحوا على أرجلهم، ولذلك فلا يجوز مُطلقًا المسح على القدمين، فعقيدة أهل السنة والجماعة هي غسل الأرجل.

أما الشيعة فإنهم يقولون: نكتفي بالمسح.

يقول إمام المعتزلة الجبائي: أنت مخير بين الغسل والمسح.

أما أهل الظاهر فإنهم يقولون: أجمع بين الغسل والمسح.

كل هذه أقوال باطلة إلا قول أهل السنة والجماعة لأنه موافق للسنة وما أمر به النبي ص، فلم يجمع النبي ﷺ بين الغسل والمسح، ولم يرد عنه أنه مسح على قدمه، كما أنه لم يرد عنه أيضًا أنه ترك الأمر للصحابة فخيرهم بين الغسل والمسح، حتى قول أهل الظاهر الذين شددوا باطل لأنهم جمعوا بين عبادتين وهذا مما لا يجوز جمعه في عمل واحد

_أما السنة الفعلية الواردة عن النبي ﷺ في هذا الأمر فهي الغسل.

- فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ».

استدل العلماء من هذه المقولة على: جواز رفع الصوت بالعلم.

رغم أن الصوت العالي من الأمور المرفوضة في ديننا.

قال تعالى: { وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩)} [لقمان].

هذا الأمر مرفوض في الظروف العادية(يتحدث اثنان فلا داعي لرفع الصوت) لكن هناك أسباب تستوجب رفع الصوت ولا حرج في ذلك.

من هذه الأسباب: حالة كالتي أمامنا في الحديث فقد رأى النبي ﷺ أمر خطأ فإذا ما تكلم بصوت منخفض فلن يسمعه أحد ولذلك فقد رفع صوته حتى يسمعه الصحابة رضي الله عنهم.

ويمكن أن يحدُث هذا أيضًا إذا كان هناك مَن يفعل منكر فيكون رفع الصوت من أجل التنبيه، يلحق بهذا أيضًا إذا كان في القول موعظة كما جاء في حديث جابر"،

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: «صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ»، وَيَقُولُ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»، وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ، وَالْوُسْطَى، وَيَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» ثُمَّ يَقُولُ: «أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ، مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ»أخرجه مسلم (٨٦٧).

قال ابن بطال في المناظرة: إذا كنت تريد أن تُناظر شخص وأنت تملك الحجة فلا تخفض صوتك فيخفى على مَن هو أمامك، بل على العكس ينبغي أن ترفع صوتك لبيان الحق ولكن شرط أن لا يصل لدرجة إساءة الأدب، فيكون رفع الصوت بالقدر الذي يسمعه الحضور فيتضح لهم الحق بالحجة والبرهان، فالمناظرة التي تُعقد بين اثنين لابد أن يكون هناك من يسمعها ولهذا ينبغي أن يرتفع الصوت حتى يسمع الجمع.

روى ابن عبد البر بسنده إلى سفيان بن عُيينة قال: مررت بأبي حنيفة وهو مع أصحابه في المسجد وقد ارتفعت أصواتهم فقلت : يا أبا حنيفة هذا في المسجد، والصوت لا ينبغي أن يُرفع فيه ، فقال : دعهم فإنهم لا يفقهون إلاّ بهذا.

- كما أنه للعالم أن يُنكر على المتعلم إذا رأى شيء يستحق الإنكار حتى لو كان على الملأ :

وهذا الأمر لا يدخل فيه جزئية الرحمة أو الشفقة، لأن هناك خلط عند بعض طلبة العلم، حيث يُنكرون على المعلم إذا ما رأوه يشتد على طالب ارتكب خطأً ما، ويقولون أن النبي ﷺ كان رءوف ورحيم ولم يشتد على مَن يُعلم بدليل فعله مع الأعرابي الذي بال في المسجد

*عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي المَسْجِدِ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»

أخرجه البخاري(٢٢٠،٦١٢٨).

وللأسف أن بعض الدُعاة يُدندنون على هذه المسألة، وهذا يُعد نقص في إيصال المعلومة للطالب ونقص علم، لأن الحديث عن جانب واحد من طريقة النبي ﷺ في التعليم (الرأفة _الرحمة_الشفقة) دون أن يذكر الجانب الآخر، فإن هذا يعني أنه لو جاء شخص لِيَسْتن بسنة النبي ﷺ في إنكاره على الآخر برفع الصوت أو بالشدة فإن المحيطين به سيُنكرون عليه فعل ذلك بحجة أن هذا لم يكن هدي النبي ﷺ،

_وهذا خطأ لأن النبي ﷺ كان يُنكر في بعض الأوقات بل ويشتد على المُخطئ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ، فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ، وَقَالَ: «يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ»، فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خُذْ خَاتِمَكَ انْتَفِعْ بِهِ، قَالَ: لَا وَاللهِ، لَا آخُذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "أخرجه مسلم(٢٠٩٠).

فلماذا اشتد النبي ﷺ على هذا الصحابي وأنكر عليه فعله على ملأ؟ فهذا الموقف لم تكُن الرحمة والرأفة فيه بسبيل للعلاج والإصلاح ولكن كانت الشدة هي السبيل إلى ذلك، هذا الشخص كان لديه علم بالحكم، ولو لم يكن لديه هذا العلم لما تعامل معه النبي ﷺ بهذه الشدة، ففرق بين الجاهل وبين المتعلم، وبالتالي فليس على الإطلاق يكون التعامل برحمة ورأفة ولا على الإطلاق يكون التعامل بشدة وإنكار وتعنيف على الملأ،

_وقول النبي ﷺ «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ» هي كلمة شديدة جدًا في وقعها على الصحابة رضي الله عنه، لكن هذه الشدة أو هذا الإنكار

الشديد من النبي ﷺ على أصحابه جاء بهذه الصورة ليُبين لهم مدى خطورة الفعل الذي يقومون به.

الباب الرابع: بَابُ قَوْلِ المُحَدِّثِ :حَدثَنَا، وَأَخبَرَنَا، وَأَنبَأَنَا

فما هو مقصود البخاري من هذا الباب وخاصة أننا ذكرنا أن البخاري لم يُبوب أبواب الصحيح إلا بعبقرية بالغة شهد له بها الكثير من العلماء؟ فهو يهدُف إلى معنى مُعين، عندما بوب البخاري هذا الباب بهذا العنوان أراد أن يُبين لأهل الحديث وطلاب العلم أن الكلمات الثلاث (حدثنا_أخبرنا_أنبأنا) لها نفس المعنى.

وَقَالَ لَنَا الحُمَيدِي: كَانَ عِندَ ابنِ عُيَينَةَ حَدثَنَا، وَأَخبَرَنَا، وَأَنبَأَنَا، وَسَمِعتُ وَاحِدًا.

ينقل الحُميدي عن ابن عُيينة(من كبار المحدثين)أن الكلمات الآتية(حدثنا_أنبأنا_اخبرنا_سمعت) لها معنى واحد.

فما هو المُستفاد من هذا ؟

يستفيد المُحدث أن السند إذا جاء فيه إحدى هذه الكلمات يكون بمثابة مَنْ سمع من الراوي وبالتالي فلا يُطعن في صحة الرواية، هذه هي إرادة البخاري بهذا الباب.

وَقَالَ ابنُ مَسعُودٍ : حَدثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَليهِ وَسَلمَ وَهُوَ الصادِقُ المَصدُوقُ وَقَالَ شَقِيقٌ :عَن عَبدِ اللهِ سَمِعتُ النبِي صَلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلمَ كَلِمَةً وقَالَ حُذَيفَةُ حَدثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلمَ حَدِيثَينِ وَقَالَ أَبُو العَالِيَةِ عَن ابنِ عَباسٍ عَنِ النبِي صَلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلمَ: فِيمَا يَروِي عَن رَبهِ وَقَالَ أَنَسٌ عَنِ النبِي صَلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلمَ :فِيمَا يَروِيهِ عَن رَبهِ عَز وَجَل وَقَالَ أَبُو هُرَيرَةَ عَنِ النبِي صَلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلمَ: يَروِيهِ عَن رَبكُم عَز وَجَل.

قصد البخاري بهذه الترجمة أن كل المُسندات المروية عن النبي ﷺ بهذه الأسانيد تصح ولا إشكال فيها.

وانتصر الإمام الطحاوي: لهذا القول وذكر من القرآن آيات تدل على أن المعنى كله واحد.

قال تعالى: { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣)} [الزمر].

وقال سبحانه: { يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤)} [الزلزلة]

فجعل الحديث والخبر والنبأ كلمات تأتي بمعنى واحد.

قال تعالى: { يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٤)} [التوبة] وهي الأشياء التي كانت منهم.

قال تعالى: { هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) } [البروج].

وهذا الأمر يستفيد منه طالب العلم المنشغل بمصطلح الحديث أو الباحث فيه.

حديث الباب:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ المُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ» فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ البَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ» أخرجه البخاري(٦١)، أخرجه مسلم(٢٨١١).

يسأل النبي ﷺ أصحابه عن شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المسلم، ففكر الناس في أشياء ثم سألوا النبي ﷺ ما هي؟ فقال : هي النخلة.

أولًا من هو عبد الله بن عمر؟

كان عبد الله بن عمر من أكثر الناس إتباعًا لسنة النبي ﷺ حتى في الأمور الجِبِلية كان يتبعه فيها، وكان إسلامه في سِن صغير فلم يكن قد احتلم بعد، ونظرًا لصغر سنه يوم أُحد لم يأذن له النبي ﷺ بحضور الغزوة، ولكنه حضر غزوة الخندق.

ولعبد الله بن عمر فضائل عظيمة جدًا وقد رُوي عنه:

حَدَّثَنَا نَافِعٌ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ، قَالَ: إِنَّ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانُوا يَرَوْنَ الرُّؤْيَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُصُّونَهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ اللَّهُ، وَأَنَا غُلاَمٌ حَدِيثُ السِّنِّ، وَبَيْتِي المَسْجِدُ قَبْلَ أَنْ أَنْكِحَ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَوْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ لَرَأَيْتَ مِثْلَ مَا يَرَى هَؤُلاَءِ، فَلَمَّا اضْطَجَعْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ فِيَّ خَيْرًا فَأَرِنِي رُؤْيَا، فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ جَاءَنِي مَلَكَانِ، فِي يَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، يُقْبِلاَنِ بِي إِلَى جَهَنَّمَ، وَأَنَا بَيْنَهُمَا أَدْعُو اللَّهَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهَنَّمَ، ثُمَّ أُرَانِي لَقِيَنِي مَلَكٌ فِي يَدِهِ مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، فَقَالَ: لَنْ تُرَاعَ، نِعْمَ الرَّجُلُ أَنْتَ، لَوْ كُنْتَ تُكْثِرُ الصَّلاَةَ.

فَانْطَلَقُوا بِي حَتَّى وَقَفُوا بِي عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ البِئْرِ، لَهُ قُرُونٌ كَقَرْنِ البِئْرِ، بَيْنَ كُلِّ قَرْنَيْنِ مَلَكٌ بِيَدِهِ مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، وَأَرَى فِيهَا رِجَالًا مُعَلَّقِينَ بِالسَّلاَسِلِ، رُءُوسُهُمْ أَسْفَلَهُمْ، عَرَفْتُ فِيهَا رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ، فَانْصَرَفُوا بِي عَنْ ذَاتِ اليَمِينِ. أخرجه البخاري(٧٠٢٨).

فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ، فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ، عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ رَجُلٌ صَالِحٌ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ» فَقَالَ نَافِعٌ: «فَلَمْ يَزَلْ بَعْدَ ذَلِكَ يُكْثِرُ الصَّلاَةَ»أخرجه البخاري(٧٠٢٩).

- مقمعة: عصا معوجة الرأس، لم ترع: من الروع وهو الخوف، شفير: حرف وجانب.

أولًا: الحديث يدل على مدى حرص عبد الله بن عمر على الخير، فقد كان صغيرًا وبالرغم من ذلك كان يجلس في مجلس الصحابة ويراهم وهم يتحدثون عن الرؤيا التي يرونها(هذه القلوب صافية_مُعلقة بالله) فيقصونها على النبي ﷺ في مجلسه ويسألونه عن معناها، وكان عبد الله بن عمر يقول في نفسه لو كان في خيرًا لرأيت رؤية كما يرى هؤلاء وهذه هي المحاسبة ولكن هذا الصحابي عرفها منذ الصِغر(لَوْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ لَرَأَيْتَ مِثْلَ مَا يَرَى هَؤُلاَءِ) كان حريصًا على مراقبة القلب ومحاسبة النفس فلماذا يرى أنه ليس في نفسه خير؟

فلننتبه: لأن هؤلاء القوم لم تكن الدنيا في حساباتهم، عبد الله بن عمر كان يُصلي مع النبي ﷺ ويصوم،وهو ابن الصحابي الجليل عمر بن الخطاب أفضل رجل في الأمة بعد أبي بكر الصديق، وكان حريص على الإتباع شدة الحِرص.

فما هي المعصية التي صدرت من عبد الله بن عمر؟ وكيف لشاب كهذا أن يقع في المعصية؟ لقد كانت الدنيا من حوله طاهرة فلا شهوات ولا شُبهات وبالتالي لا مجال للمعصية أن تقع، ومع كل ذلك يتهم نفسه أنه ليس فيه خير لمُجرد أنه لا يرى رؤية كما يرى هؤلاء.

ثم سأل الله عز وجل إن كان يعلم أن فيه خير أن يُريه رؤية كما يحدُث للباقين، فاستجاب الله سبحانه لدعائه.

ولما نام شاهد الآتي:

فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ جَاءَنِي مَلَكَانِ، فِي يَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، يُقْبِلَانِ بِي إِلَى جَهَنَّمَ.

وَأَنَا بَيْنَهُمَا أَدْعُو اللَّهَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهَنَّمَ، ثُمَّ أُرَانِي لَقِيَنِي مَلَكٌ فِي يَدِهِ مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، فَقَالَ: لَنْ تُرَاعَ، نِعْمَ الرَّجُلُ أَنْتَ، لَوْ كُنْتَ تُكْثِرُ الصَّلَاةَ.

قول الملك: لو كنت تكثر الصلاة والمقصود ليس صلاة الفرض لأن صلاة الفريضة ليس فيها زيادة.

فَانْطَلَقُوا بِي حَتَّى وَقَفُوا بِي عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ، لَهُ قُرُونٌ كَقَرْنِ الْبِئْرِ، بَيْنَ كُلِّ قَرْنَيْنِ مَلَكٌ بِيَدِهِ مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، وَأَرَى فِيهَا رِجَالًا مُعَلَّقِينَ بِالسَّلَاسِلِ، رُءُوسُهُمْ أَسْفَلَهُمْ، عَرَفْتُ فِيهَا رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ، فَانْصَرَفُوا بِي عَنْ ذَاتِ الْيَمِينِ".

فليس عذاب فقط بل أنه عذاب وإهانة (رجال معلقين بالسلاسل، رءوسهم أسفلهم) ففي القرآن أنواع للعذاب(مهين_أليم_عظيم).

الأليم: حيث يتألم الجسد، **العظيم**: أنواع وأشكال من العذاب

المهين: التوبيخ والإهانة والزجر.

فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ، فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ، عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وحفصة هي أخته وزوج النبي ﷺ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ رَجُلٌ صَالِحٌ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ» فَقَالَ نَافِعٌ: «فَلَمْ يَزَلْ بَعْدَ ذَلِكَ يُكْثِرُ الصَّلاَةَ»

انتبهوا : لأن الكلام يحتاج لوقفة.

«إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ رَجُلٌ صَالِحٌ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ».

لقد كان يصلي ويصوم والدنيا من حوله خالية من الفتن، حيث لا يوجد (نساء عاريات يسرن في الطرقات_مشاهدة تلفاز_ شبكات تواصل اجتماعي تعرض ما لا يرضي الله_ ولا سوء خلق يدفع الشخص إلى التعامل بنفس الطريقة حتى يستطيع العيش مع الناس) مَن يحيط به هم أنقى وأشرف وأطهر الناس (الصحابة) فطَهُرَ المكان بهم، وعندما دعا الله ليريه رؤيا، فماذا أراه الله عز وجل ؟

رأى عذاب جهنم حتى يحذر مما ينتظر الناس في الآخرة،

فما هو السبيل إلى النجاة من هذا العذاب؟

السبيل إلى النجاة هو قيام الليل، عبد الله بن عمر مع كل ما هو فيه من جو صالح طاهر نقي خالي من المعاصي والفتن ورؤية النبي ﷺ واتباعه في كل شيء وحضور مجالسه، وكل هذه مقومات تجعل الإيمان

في أعلى عليين، ومع كل ذلك فإنه عندما سأل الله أن يُريه رؤيا ليعلم إن كان فيه خير أم لا، أمره الله عز وجل بقيام الليل.

إذا كانت هذه هي الإجابة بعد كل هذه الطاعات فما الذي ينقصنا نحن؟

نحن نحتاج إلى أن نفيق من الغفلة التي نعيش فيها.

الإشكال أن عوام المسلمين الذين يَتَقَلَّبون في المعاصي والذنوب بكافة أشكالها (باللسان_بالنظر_التقصير_التفريط) إذا تحدث إليهم أحد ليحُثهم على التوبة والرجوع عن ما هم فيه من معاصي وذنوب وضرورة الذهاب إلى مجالس العلم لإصلاح أمر دينهم وأخرتهم وترك المخالفات الشرعية التي تصدر منهم.

يكون الرد هو: أن ما تفعلونه هذا هو زيادة ترفعكم درجات عند الله وتجعلكم مع النبيين والصالحين والشهداء أما نحن فيكفينا أن ندخل الجنة.

هذا ضلال مبين، فهؤلاء يعتقدون أنهم مع كل هذه الذنوب والمعاصي سيدخلون الجنة لأن الله غفور رحيم.

أما غيرهم من المُلتزمين والملتزمات الحافظين لكتاب الله العاملين بسنة رسول الله، الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر فستكون لهم الدرجات العُلا منها

ابن عمر أخذته الملائكة إلى جهنم حتى يستعيذ من عذابها ويُكثِر من قيام الليل.

- **وقفة أخرى:**

مَن يكون على صِلة بالملتزمين من العوام نتيجة الجهل والبُعد عن الدين يُصور لهذا الملتزم أنه صاحب بركات لأنه ينظر إليه على أنه يفعل الكثير الذي يجعله من أصحاب الدرجات العُلا، في حين أن قياس حال الملتزم على حال أهل الدنيا خطأ.

والعوام يحتجون بالزمن وما فيه من فتن، فإذا ما وُجه إلى أحدهم سؤال أتريد أن تكون من أهل الجنة أم من أهل النار؟ فتكون الإجابة أهل الجنة طبعًا.

إذن انظر إلى حال أهل الجنة وافعل كما يفعلونه، أما ما تفعله فإنه مقارنة لحالك بحال أهل النار ومَن يفعل ذلك لن يصل إلى شيء بل سيصل إلى الشقاء والعذاب في الآخرة.

مَن أراد الجنة فلينظر أين هو من حال أهل الجنة؟

كان هذا هو حال عبد الله بن عمر الذي أراد أن يدخل الجنة، لقد رأى لنفسه رؤية تدله على أن ما ينقصه هو قيام الليل مع كل الطاعات التي كان يقوم بها والأعظم من ذلك أنه لم يقع في المعاصي.

فالإنسان يمكن أن يُقصر في طاعة فيغفر الله له لكن المعاصي والتجرؤ على معاصي الله سبحانه هذه أشياء لم تكن موجودة في حياة هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم جميعًا.

(بَابُ طَرحِ الإمَامِ المَسأَلَةَ عَلَى أَصحَابِهِ لِيَختَبِرَ مَا عِندَهُم مِنَ العِلمِ)

أخذنا في الباب السابق حديث النخلة رواية البخاري، ثم نُورد الآن رواية مسلم.

أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ دِينَارٍ، أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟» فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي، قَالَ عَبْدُ اللهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ فَقَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ» قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعُمَرَ، قَالَ: لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَ: هِيَ النَّخْلَةُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا"أخرجه مسلم(٢٨١١).

سأل النبي ﷺ أصحابه عن شجرة هي كالمسلم فجاء في ذهن عبد الله بن عمر أنها النخلة ولكنه استحي أن يتكلم، فلما قص على أبيه عمر بن الخطاب ما حدث تمنى عمر أن لو كان أجاب بما عنده من إجابة لسؤال النبي ﷺ.

قول العلماء : لماذا شبه النبي ﷺ النخلة دون سائر أنواع الشجر بالمسلم؟ قيل لكثرة خير هذه الشجرة ودوام ظِلها وطيب ثمرها، وجودها على التمام فهي شجرة جوَّادة.

فأولًا: النخلة شجرة عمرها طويل_ فيستظل الإنسان بظلها _ثمرها كثير كما أن النخل من الشجر الذي يُنتج بسرعة فإنتاجه سريع_ وجودها على الدوام فلا يتوقف عطائها، وفي نفس الوقت لو أن الشجرة كبرت وقُطعت فإن كل جزءِ منها يُوجه إلى غرض أو أغراض يستفيد منها الناس.

شجرة إذا قيَّمناها فإن الخير فيها من كل وجه، وكذلك المسلم الحق فلماذا؟ لأن المسلم الحق دائم الخير من (صلاة_صيام_ذِكر_لأمر بالمعروف والنهي عن المنكر_لصدقة_لخدمة المسلمين) فهو دائم الخير ومَن يكون هذا هو حاله فلا يأتي من قِبله الشر أبدًا، ولذلك فقد حثنا النبي ﷺ على مُجالسة الصالحين والحِرص عليها لأن الصالح من المسلمين لابد أن ينال الناس الخير منه (رجل صالح_امرأة صالحة) _فمصاحبة الصالحين ومُجالستهم دائمًا تأتي بالخير، لأنهم إما أنهم يحثون الناس على عمل الخير(طاعة كنت غافل عنها فيلفت انتباهك إليها ويدفعك إلى القيام بها_فعل خطأ كنت مُقدم عليه فإذا به ينهاك عنه ويحُثك على الخير_ يُهون عليك ابتلاءات الدنيا حتى ترضى بقضاء الله فيك) لذلك قال النبي ﷺ المسلم كالنخلة في كثرة الخير الذي يأتي منه: فإنه يتمتع بمكارم الأخلاق_ كثير العطاء_إيثار_محبة، حتى أن بعض الناس تتعجب من خُلُق المسلم الحق.

فعلى سبيل المثال: أهل الدنيا عندما يرون مَن يُعطي دون أن ينتظر المُقابل يُسئ الظن في المُعطي ويتساءل ما هو غرضه من وراء هذا العطاء لأنهم يفتقرون إلى هذا الأمر، لكن المسلم الحق لا ينتظر من أخيه المسلم المقابل بل أنه ينتظر الأجر والثواب من الله عز وجل.

ثانيا: يجوز للعالم أن يختبر أفهام الطلبة:

قال رسول: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟».

ولهذا فقد وجه النبي ﷺ إلى الصحابة سؤال ولم يتحدث مباشرةً، ومن هذا نخرُج بفائدة وهي أنه يجوز للعالم أن يختبر أفهام الطلبة فلماذا؟ فالمعلم عندما يُوجه سؤال إلى الطالب فإنه يختبر ذكاؤه ومدى تركيزه إلى جانب أن إجابة الطالب على السؤال تُوضح للمعلم هل وصلت إليه المعلومة واستوعبها أم العكس.

ثالثا: وكذا التحريض على الفهم والعلم:

وقد بوب الإمام باب في هذا الأمر فقال(باب الفهم في العلم)

وهذا يعني: أن الإنسان إذا ما تلقى عِلمًا فإنه ينبغي أن يكون فاهمًا له وهذا الأمر يُسأل عنه المعلم فتلك هي مهمته، فمَن يُعطي العلم هو مسئول عن إفهام المُتلقي لهذا العلم.

رابعا: فائدة أخرى(استحباب الحياء):

والحياء خُلُق مفقود بين الكثير من المسلمين اليوم(رجالًا كانوا أو نساء). فالمفروض أن الحياء خلق للرجل، وللأسف أن هذا الخلق إذا ما وصف به الولد في وقتنا هذا فإنه يكون محل سُخرية من الآخرين وتعنيف من الوالدين لأنهم ينظرون إليه على أنه يتشبه بالفتيات.

وهذا خطأ يقع فيه الوالدين لأنهما يقتُلان في الولد خلق كان يتصف به النبي ﷺ فقد كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا» أخرجه البخاري(٣٥٦٢).

لقد جلس عبد الله بن عمر في المجلس وعرف إجابة السؤال ولكنه استحياءً لم يتكلم لأن هناك مَن كان يَكْبُره في المجلس(كبار الصحابة) رغم أنهم لا يعرفون الإجابة ومن هذا نخرج بفائدة.

أنه يجوز أن يتفوق الصغير على الكبير، ويقبل الكبير منه إذا لم يكن لديه كِبْر، ولا يتكبر الكبير أن يأخذ من الصغير إذا كان لديه العلم.

خامسا: يجوز تشبيه شيء بشيء ولكن ليس من كل وجه:

عندما شبه النبي ﷺ النخلة بالمسلم لم يقصد أن التشابه من كل وجه ولكنه قصد النواحي المعنوية (كثرة العطاء_ استمرار العطاء ودوامه_ الخير_ البركة العائدة من هذه الشجرة) هي أيضًا تأتي من المسلم الحق المبارك الذي التزم بأوامر الله.

واستدل به (الحديث) مالك: على أن الخواطر التي تقع في القلب من محبة الثناء على أعمال الخير لا يقدح فيها إذا كان أصلها لله وذلك

مستفاد من تمني عمر المذكور ووجه تمني عمر رضي الله عنه ما طبع عليه الإنسان من محبة الخير لنفسه ولولده ولتظهر فضيلة الولد في الفهم من صغره ليزداد من النبي ﷺ حظوة ولعله كان يرجو أن يدعو له إذ ذاك بالزيادة في الفهم.

إذن تمني الخير دون السعي إليه ثم حصول هذا الخير فإن هذا لا يُعد رياء استنادًا إلى تمني عمر لابنه أن يُجيب السؤال حتى يُثني عليه النبي ﷺ وسط هذا الجمع من الصحابة، وهذا الخير لا يقدح في العمل إذا ما كان العمل لله.

مثال: العالم الذي يخرج من بيته ونيته هي القيام بالدعوة لوجه الله، وبعد أن انتهى من إلقاء الدرس أو المحاضرة أحب أن يلقى من الحضور الثناء على هذا الدرس فإن هذا لا يقدح في نيته، لأن الإنسان مجبول على حب الثناء والمدح شرط أن لا تكون هذه هي النية من بداية الأمر.

بمعنى أنه: خرج من بيته بنية نفع المسلمين وإيصال العلم لهم وذلك بإزالة الجهل عنهم وتحبيبهم في حديث رسول الله ﷺ، وفتح أبواب للعلم أمامهم حتى تنشط الأذهان.

وقد تكون كلمات الثناء هذه علامة وإشارة من الله عز وجل للعالم في قبول العمل.

لابد للعالم أن يُنوع في أسلوب الدعوة وكذا في أبواب العلوم فتارة يتكلم في الرقائق _وتارة في حديث رسول الله ﷺ_تارة في تفسير كتاب الله عز وجل، لأن صورة الموعظة إذا جاءت دائمًا على وتيرة واحدة تُولد نوع من الملل لدى الطالب، ومن نعم الله على العباد أن الدين فيه تنوع.

لقد كانت نية عمر بن الخطاب هي الفرح بذكاء ولده وجلوسه في مجلس رسول الله ومع الصحابة الكبار وفهمه لقصد النبي ﷺ وهذه نعمة من الله سبحانه عليه، إذن هذا الأمر ليس فيه شيء.

وهذا على العكس من أن يكون الإنسان قد بدأ العمل ونيته المدح والثناء وأن ينال الرياسة والتصدُر، فهنا يسقط العمل بالكلية.

وفيه إشارة إلى حقارة الدنيا في عين عمر: لأنه قابل فهم ابنه لمسألة واحدة بحمر النعم مع عظم مقدارها وغلاء ثمنها.

فما هو المقصود بحمر النعم: الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء وأنه ليس هناك أعظم منه،
_فقال عمر لابنه لئن كنت أجبت رسول الله ﷺ، وحظيت بثنائه لكان ذلك أحب إلي من حُمر النعم(كانت الدنيا لا تساوي شيء عند هؤلاء).

وفيه أيضًا : ضرورة طرح الأسئلة:

فمبدأ طرح الأسئلة أمر مهم، وهذا من هدي النبي ﷺ، فقد ورد عنه في أكثر من حديث أنه كان يطرح الأسئلة على الصحابة منها:

عَنْ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟»، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: «لاَ تُبَشِّرْهُمْ، فَيَتَّكِلُوا»أخرجه البخاري(٢٨٥٦)واللفظ له، أخرجه مسلم(٣٠).

المقصود من ذِكر الحديث في هذا الموضع هو: إيضاح أنه كان من هدي النبي ﷺ طرح الأسئلة على الناس سواء كان في جمع أو على انفراد.

- الردف والرديف: هو الراكب خلف الراكب.

وكما كان يفعل النبي ﷺ من سؤال أصحابه فقد سار على هديه السلف إتباعا له ﷺ ومن هذا:

عن يحيى بن سعيد قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: ما ترون في رجل وقع بامرأته وهو محرم؟، فلم يقل له القوم شيئا، فقال سعيد: إن رجلا وقع بامرأته وهو محرم، فبعث إلى المدينة يسأل عن ذلك، فقال بعض الناس: يفرق بينهما إلى عام قابل، فقال سعيد بن المسيب: لينفذا لوجههما فليتما حجهما الذي أفسداه، فإذا فرغا رجعا، فإن أدركهما حج قابل فعليهما الحج والهدي، ويهلان من حيث أهلا بحجهما الذي أفسداه، ويتفرقان حتى يقضيا حجهما.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، أَنَّهُ قَالَ: مَا صَلاَةٌ يُجْلَسُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ مِنْهَا ؟ ثُمَّ قَالَ سَعِيدٌ: هِيَ الْمَغْرِبُ، إِذَا فَاتَتْكَ مِنْهَا رَكْعَةٌ، وَكَذَلِكَ سُنَّةُ الصَّلاَةِ كُلِّهَا.

باب: (مَنْ قَعَدَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ وَمَنْ رَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا).

بوب الإمام البخاري بابًا بعنوان (من قعد حيث ينتهي به المجلس)
يعني: شخص دخل حلقة علم ورأى أنه لا يوجد مكان فجلس حيث انتهى به المجلس.

*حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ أَبَا مُرَّةَ مَوْلَى عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَخْبَرَهُ عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَهَبَ وَاحِدٌ قَالَ فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

"أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَآوَاهُ اللَّهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ"

أخرجه البخاري(٦٦).

أبي واقد الليثي هو(الحارث بن عوف) كما قال فيه البخاري، وهو من أصحاب رسول الله وقد روى عنه أحاديث ليست بالقليلة.

أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: فأقبل اثنان بعد قوله: " أقبل ثلاثة " هما إقبالان، كأنهم أقبلوا أولًا من الطريق فدخلوا المسجد مارين كما في حديث أنس، فإذا ثلاثة نفر يمرون، فلما رأوا مجلس النبي ﷺ أقبل إليه اثنان منهم واستمر الثالث ذاهبًا.

قوله: (فوقفا) زاد أكثر رواة الموطأ: " فلما وقفا سلما وكذا عند الترمذي والنسائي.

إذن هذه اللفظة لم يذكرها البخاري.

لماذا نذكر هذه الألفاظ؟ حتى نخرج بأدب وسنة نستن بها ألا وهي: لابد أن يُسلِّم الداخل على الموجودين، والواقف يُسلم على الجالسين، فالداخل يبدأ بالسلام، وفي الحديث لم يذكر هذا الأدب(طريقة السلام) لأنه من الأشياء المعروفة.

وفيه: أنه يجوز أن يترُك الإنسان تحية المسجد إذا كان هناك ضرورة فلم يُذكر في الحديث أنهم صلوا تحية المسجد (فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ).

قول لبعض أهل العلم: ربما يكون هؤلاء قد دخلوا في وقت فيه كراهة، ووقت الكراهة فيه نزاع بين أهل العلم : هل تُصلى فيه الصلاة التي لها سبب أم لا ؟ وهل صلاة تحية المسجد تدخل تحت مسمى الصلوات ذات الأسباب أم لا ؟ كل هذا فيه نزاع بين أهل العلم.

فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أي على مجلس رسول الله ﷺ

فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً:

هي الخلل بين الشيئين.

فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا:

حلق الذكر، والحلقة بإسكان اللام كل شيء مستدير خالي الوسط.

وفيه: استحباب التحليق في مجالس الذكر والعلم، وصحيح أن الخوارج يفعلون ذلك ولكن هذه الحِلق هي سنة عن النبي ﷺ.

أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَآوَاهُ اللَّهُ:

لقد أقبل على الله فلم يرده الله وهذا هو حال كل إنسان مُقبِل على الله لا يرده الله بل أنه يُدخله في رحمته ورضوانه، هذا يقين وعقيدة لابد أن ترسخ في القلوب والعقول.

فمن المستحيل أن تُقبل على الله وتريد أن تنال كل خيرٍ من الله وتبحث عن الآخرة ثم يردك الله، من المستحيل أن يحدُث هذا لأنه هو الودود_ الرحيم_الغفور_ الرءوف بعباده.

وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ:

فاستحيا:أي ترك المزاحمة كما فعل رفيقه حياء من النبي ﷺ وممن حضر.

الاستحياء من صفات الله عز وجل:

قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦)} [البقرة].

فنثبت صفة الحياء لله ولكن عند إثبات الصفة لله فإن ذلك يكون مُغاير لإثبات نفس الصفة عند المخلوق، لأن الحياء بالنسبة للمخلوق يؤدي إلى الخجل أحيانًا أو البكاء مثلًا، الله سبحانه ليس كمثل شيء، وسبق

لنا أن بينا أن الصفات قد تتشابه بين الخالق والمخلوق في المسمى فقط دون باقي أوجه التشبيه وعلى رأسها الكيفية، فنثبت الصفة ولا نُكيفها ولا نُشبهها، فنثبتها لله كما يليق بجلاله وكماله وعظيم سلطانه.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الْعَبْدُ إِلَيْهِ يَدَهُ أَنْ يَرُدَّهَا صِفْرًا حَتَّى يَجْعَلَ فِيهَا خَيْرًا». شرح السنة للبغوي(١٣٨٦).

قال ابن القيم: وأما حياء ربي من عبده فذاك نبع أخر، لا تدركه الأفهام، ولا تكيفه العقول، لأنه حياء كرم وبر وجود وجلال.

إذن: فحياء الرب كرم وعطاء ومنَّة وإجابة دعاء وجود وفضل ورحمة ومغفرة للعباد.

وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ:

وهو محمول على من ذهب معرضا لا لعذر.

يقول ابن القيم: إن لم يوجد في المجلس إلا أن الله يؤويك فكفي بها نعمة.

فإن لم يكن من فضل المجلس والجلوس والاستماع والاستمرار في الصبر على مجالس العلم غير إيواء الله للعبد لكفى بها نعمة، فأي خير وأي فضل سيحصل عليه العبد نتيجة إيواء الله له.

إلى جانب أن الله سبحانه يذكر عبده في الملأ الأعلى.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً " أخرجه البخاري(٧٤٠٥).

يذكر الله عبده في الملأ الأعلى وهذا يقينًا لأنه موعود رسول الله ﷺ وموعود الله عز وجل بنص الحديث القدسي (وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ).

لكن الشياطين والجهل بالدين جعل الناس تخسر الكثير والكثير من الخير، وكلما ازداد جهل الإنسان كلما ازدادت خسارته وكلما ازداد علمًا كلما عرف كيف يُحصِّل الحسنات وكيفية الوصول إلى إرضاء الله وإتباع النبي ﷺ، فكل الخير في العلم وبدونه يتخبط الناس ويسقطون تارة في الشهوات وتارة في الشبهات.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك